

## سؤال اللغة الطبيعية عند غوتفريد فلهلم لينينتز

فلاق شيرة مولود

قسم الفلسفة ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة عبد الحميد ابن باديس ، مستغانم

### مقدمة :

تحتل اللغة مكانة كبيرة من حيث أهميتها في حياة المجتمعات والأمم، نظرا للدور الذي تؤديه خدمة للوجود الإنساني، يقول الفيلسوف الألماني "فيخته": «أينما توجد لغة مستقلة توجد أمة مستقلة لها الحق في تسيير شؤونها وإدارة حكمها»<sup>(1)</sup>. فهي تمثل الهوية في جانبها الاجتماعي، تلك الهوية التي تحتل ماضيا لأمة بما يحمله موروثها الحضاري، فاللغة إذن هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها هوية الأمة وهي تلك الصلة التي تجمع بين الماضي والحاضر وهي جوهر الثقافة الإنسانية. وهذا ما يتجلى في ارتباط الإنسان مع هذه الأخيرة بعلاقة اندماجية بدأت مع بداية الخلق.

ومهما بلغ الاختلاف حول طبيعة اللغة ووظيفتها، فإنه لا يتعدى حدود الحديث عن الوظيفتين التواصلية والمعرفية، ولا يمكن أن يخفى ما لذين البعدين من خطورة، فاللغة قد تكون عامل إيجابي في عملية التواصل والتبادل بين الحضارات والشعوب وفي نفس الوقت قد تكون عامل سلبي يعيق هذا التواصل والتبادل، ونفس الأمر يحدث مع المعرفة فهي قد تكون عاملا إيجابيا في عملية ترجمة المعارف والعلوم ونقلها من جيل إلى آخر ومن حضارة إلى أخرى وبها يحصل تراكم معرفي وثقافي يضمن نشوء الحضارات وتقدمها، ويكون غيابها عملا سلبيا فلا يحدث ذلك التراكم المعرفي والثقافي ولن ينتقل شيء من عصر إلى آخر.

ونظرا لأهمية اللغة في حياة الإنسان، سيكون بحثنا هذا، الذي سنتطرق من خلاله لبعض النقاط وبعض الوقفا مع اللغة من خلال أهميتها وحضورها ن ثم أهم سؤال تتعرض له اللغة وهو عجز اللغة العادية و قدم قدرتها على تأدية إحدى أهم وظائفها و هي التواصل، بل ستتعمق اللغة بذلك وسيكون السعي إلى إلى عويضها بلغة أخرى تارة وإصلاحها تارة أخرى.

### 1\_ اللغة و حضورها عبر التاريخ.

#### أ\_ تعريف اللغة :-

لم يكن مفهوم اللغة يحمل المعنى الذي نعرفه عنه اليوم في وقتنا المعاصر، انطلاقا من التعاقب والتطور البشري واللغوي ومثال ذلك ما نجده عند العرب قديما، فالعرب كانوا «يعبرون عن أفكارهم بكلمة أخرى هي "اللسان" كونها تعد الكلمة المشتركة باللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية»<sup>(2)</sup>

وقد وردت كلمة لسان في القرآن الكريم بمعنى اللغة. قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾<sup>(3)</sup>

وقال أيضا: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾<sup>(4)</sup>

وجاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال في الجمعة: صه، فقد لغا، أي تكلم)<sup>(5)</sup>

وتطلق أيضا «على ما يجري على لسان كل قوم، لأن اللسان هو الآلة التي يتم بها النطق أو تطلق على الكلام المصطلح عليه أو على معرفة أفراد الكلمة وأوضاعها»<sup>(6)</sup>

أما في المعجم العربي فمعنى «اللغة الصوت مطلقا، واللغو (الولوع) بالشئ والنطق والهديان والباطل... وهي مشتقة من كلمة لغو، وابن جني يزننها على وزن فعله، ومن لغوت إذا تكلمت، وتجمع على: لغى و لغات و لغون »

لقد أصبح مفهوم اللغة من المفاهيم التي تتسم بالصعوبة والتعقيد حينما نروم إعطائه تعريفا فاللغة من أشد الظواهر الإنسانية تشعبا وتعقدا، لذا يصعب أن نستقر على تعريف شامل ودقيقا انطلاقا من تعددها، لذلك يعرفها الكثير من العلماء من خلال استعمالها ووظائفها.

وتعد اللغة من «أهم مميزات الإنسان الاجتماعية. كونه من خلالها هو الوحيد الذي يتمكن من ترجمة أفكاره ومشاعره إلى ألفاظ وعبارات مفهومة مع أبناء مجتمعه»<sup>(8)</sup>

وبالتالي فاللغة صفة أساسية مميزة للإنسان فقط -كما أشار إلى ذلك ديكاوت- وهي الوسيلة الوحيدة لنشأة المعرفة الإنسانية وتكوينها وتطورها، والتي ينقل المرء خلالها إلى الآخرين المعاني والأفكار التي تدور في رأسه التي هي أصوات ملفوظة مرتبة يفهم السامع المراد منها ويختل الفهم إذا تغير ذلك الترتيب.

ويرى فرديناند دي سوسور: «أنها - أي اللغة - نظام أو نتاج اجتماعي لملكة اللسان، وهي مجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد على ممارسة هذه الملكة»<sup>(9)</sup>

ويذهب تمام حسان إلى اعتبار اللغة «جهاز صوتي يتم استعماله حسب قواعد معينة، لا بد للمتكلم أن يطابقها عند الكلام، وكذلك لها جهاز صرفي يتكون من الصيغ، تخضع لقوانين محددة، درجت عليها البيئة اللغوية، تلزم المتكلم من أن يراعيها ويخضع لضوابطها وقوانينها وأصولها»<sup>(10)</sup>

وما يمكن قوله حول اللغة هو أنه رغم التعريفات الكثيرة والمختلفة التي أعطيت للغة لكنه من الصعوبة انتقاء تعريف أو تعريفين دقيقين للغة كونها تتعلق بالجانب الاجتماعي للإنسان، ذلك الجانب الذي يتميز بالتطور والتغير المستمر وهذا ما يتجلى فيارتباط الإنسان مع هذه الأخيرة بعلاقة اندماجية بدأت مع بداية الخلق، فاللغة تصنع الإنسان أي أنه اكتسب إنسانيته باللغة وهي في نفس الوقت من صنيعته.

## ب\_ الحضور اللغوي عبر التاريخ البشري :-

يعتبر مفهوم اللغة من أكثر المفاهيم التي شغلت الفلاسفة قديما وحديثا، فإشكالية اللغة تعود بجذورها إلى الحضارات الشرقية القديمة و بعدها العصور اليونانية مروراً بالعصور الوسطى وصولاً إلى العصر الحديث، لتصبح " اللغة" موضوع الفلسفة الأساسي في القرن العشرين. ولقد اهتم باللغة إضافة إلى أهل اللغة، المناطق وعلماء الاجتماع وعلماء النفس والفلاسفة وغيرهم ممن لديهم اهتمام بالقضايا الإنسانية لأنهم يرون أن اللغة هي مرآة أي مجتمع تتمثل فيها حضارته و قيمه وموقعه بين المجتمعات.

وبالعودة إلى التاريخ البشري سنجد حضور اللغة مرافقا لحضور الإنسان منذ بداية الخلق أي خلق آدم عليه السلام. فقال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾<sup>(11)</sup> ومنه فالحديث عن اللغة يعود إلى عصور قديمة جدا «ولكن كان في

شكل تأملات فلسفية حول نشأة اللغة وأسبقية اللغة أو الفكر، والعلاقة بين الدال والمدلول وأقسام الكلام... إلخ. أما الدراسات اللغوية التي تبنت مناهج علمية، فقد ظهرت في العالم الغربي في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي»<sup>(12)</sup>

لقد كان اهتمام الإنسان بالظاهرة اللغوية منذ العصور القديمة التي تمحورت الدراسات اللغوية فيها حول نشأة اللغة وأصلها، والاهتمام بالنحو والصناعة المعجمية قصد الحفاظ على لغاتهم من الضياع والموت، وهذا ما نجده عند المصريين القدماء وعند الحضارة الصينية والحضارة الهندية وكذلك عند السومريين والأكاديين والفينيقيين وغيرهم من الشعوب والأمم القديمة.

وكذلك سنجد اهتمام لغوي كبير عند الإغريق من خلال التصورات التي قدموها ف: «اليونانيون القدماء لا يدرسون اللغة ذاتها و إنما اهتموا بموضوعاتها فاعتقدوا أن بنية لغتهم تبرز الصور العامة للتفكير الإنساني أو ربما للنظام الكوني»<sup>(13)</sup>

وهذا ما سنجده عند "بروتاغوراس" في القرن الخامس قبل الميلاد وبعده أفلاطون (427 ق.م - 347 ق.م) من خلال محاوره كراتيلوس، ثم مع أرسطو من خلال أعماله اللغوية. كما نجد اهتمام آخر عند الإغريق من خلال المدرسة الرواقية في القرن الثالث قبل الميلاد وكذلك عند الرومان.

وإذا ولجنا العصور الوسطى سنجد حضوراً لغوياً آخر من خلال الاهتمام الكبير بمسألة اللغة، فاهتموا باللغة اللاتينية الكلاسيكية ووضعوا الشروح والخواشي للنصوص اللاتينية متأثرين كثيراً بالعبرية اليونانية. «ففي سنة 1199 ألف الإسكندر دي فيلاداي alexander de villa dei كتاباً مدرسياً في النحو اللاتيني بعنوان doctrinale puerorum في شكل مون شعرية بلغت 2645 بيت،.. وفي 1301 ألفدانتى Dante الإيطالي كتاباً بعنوان De Vulgari eloquentia تناول فيه اللهجات الإيطالية آنذاك و العلاقات القائمة بينها. وقد عرض في هذا الكتاب هذا اللغات المنطوقة التي بلغ عددها أربع عشرة و قارنها باللغة اللاتينية المكتوبة»<sup>(14)</sup> وغيرها من المؤلفات اللغوية الكثيرة في هذه الفترة من التاريخ البشري.

ثم ما وجد عند العرب والمسلمين في الشرق، فقد كان الإهتمام بالمسألة اللغوية مرتبطاً أساساً بالقرآن الكريم انطلاقاً مما يمثل هذا الأخير من قدسية، جعلت العناية به وبحروفه مسألة غاية في الأهمية في سبيل حفظ وصون كلام الله عزوجل من التحريف والفهم الخاطيء فظهرت علوم النحو والصرف والبلاغة.

وفي العصور الحديثة فإن توجه الحضور اللغوي سيتغير تبعاً للتغير الذي حدث في هذه الفترة، وسيتغير التوجه اللغوي إلى عملية البحث عن لغة جديدة انطلاقاً من التراجع والضعف الذي أصاب اللغة اللاتينية باعتبارها لغة عالمية. وهذا ما سنجد مع أهم فلاسفة العصر الحديث : الذين تعتبر أعمالهم ودراساتهم إرهاباً وجذوراً للدراسات اللسانية في الوقت المعاصر « ومن بين المفكرين الذين يمثلون هذه الإرهابات لينيتز (Leibniz) وفيكو (Vico) وهاردنر (Herder) وهمبولت (Humboldt) ووليام جونز (William Jones) <sup>(15)</sup>، دون نسيان ديكرت وبيكون و جون لوك.

وما يمكن قوله عموماً حول الدراسات اللغوية التي ميزت عصر النهضة وبداية العصر الحديث هو ذلك الاختلاف والتغير في الإهتمام اللغوي، سواء على مستوى المنهج أو على مستوى الموضوع، فلم «يعد إهتمام نحاة هذه المرحلة متوقفاً على كتابة قواعد اللغات الأوروبية المتنامية، بل تعداه إلى دراسة بعض اللغات الشرقية والإفريقية. ووصف الأصوات اللغوية وتحليلها، وابتكار لغات عالمية وإصلاح أنظمة الكتابة وتصنيف معاجم متعددة اللغات وصل بعضها إلى احتواء أربعمائة لغة» <sup>(16)</sup>

وفي التاريخ المعاصر سيزداد الإهتمام باللغة والدراسات اللغوية. لقد أصبحت اللغة ذلك العالم والفضاء الذي تتجلى فيه كل مظاهر الإنسان والوجود، وتظهر لنا تلك الأهمية والإهتمام باللغة من خلال إستجداد الفلسفة - حين أهتمت بالعقم - باللغة من خلال التأويل أي العودة إلى اللغة ( الفلسفة التحليلية والتأويلية).

## 2\_ اللغة وأهميتها في عملية التواصل:

### أ- أهمية اللغة في حياة البشر.

تعتبر اللغة ميزة إنسانية بامتياز، والحديث عنها إنما هو من قبيل الحديث عن الإنسان في أبعاده ودلالاته المختلفة، وهذا ما يتجلى فيارتباط الإنسان مع هذه الأخيرة بعلاقة اندماجية منذ أن خلق هذا الإنسان، فاللغة تصنع الإنسان وهي في نفس الوقت من صنيعة « لدرجة أن جون سيريل يوضعها في مقدمة المزايا البشرية، وذلك في كتابه (العقل واللغة والمجتمع والفلسفة في العالم الواقعي) حيث يميل إلى إعتبارها ( أهم مؤسسة إنسانية) بمعنى أن المؤسسات الأخرى كالنقود والحكومة والملكية الخاصة والزواج والألعاب، تتطلب وجود اللغة، أو على الأقل تتطلب أشكالاً من الرمزية شبيهة باللغة، بينما اللغة لا تحتاج في وجودها إلى أي من المؤسسات الأخرى <sup>(17)</sup>»

وما من شك في أن اللغة عبارة عن منظومة رمزية يحقق بها الإنسان وعيه بذاته و وعيه بالآخر «وقد عرف الإنسان بأنه حيوان رمزي Symbolic أي لديه القدرة على استقبال الرمز اللغوي وإنتاجه واستخدامه، كما عرف المنطقة الإنسان بأنه حيوان ناطق، وهم يقصدون بذلك أنه قادر على استعمال لغة صوتية ذات مقاطع، وكلمات، وجمل للتفاهم مع غيره من بني جنسه» <sup>(18)</sup> أي أنها تعتبر أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع الواحد خصوصاً والوجود البشري عموماً في جميع ميادين الحياة وبدون اللغة يتعذر النشاط المعرفي.

إن العلاقة التي تجمع بين اللغة والإنسان تتجلى أكثر في التأثير المتبادل بينهما، ذلك التأثير الذي يصل إلى درجة موت اللغة <sup>(19)</sup> بموت أصحابها أو العكس، ف « لا يقتصر أمر الصلة بين المجتمع و اللغة على ما نلاحظه من تبعية تفرضها ظروف الحضارة على ألفاظ اللغة... وإنما هناك آثار أكثر عمقا ما تزال جذيرة بالنسبة والبحث <sup>(20)</sup>»

أي أن اللغة خلقت لمسايرة وتسهيل التبادل الفكري والمادي بين المجتمعات ومنه فهي تتطور باستمرار في مقابل التطور المستمر لهذا المجتمع، وأفضل دليل على ذلك وجود فئات أو قبائل أو مناطق تتفاهم فيما بينها انطلاقاً من لهجتهم أو لغتهم الخاصة بهم، كما أننا سنجد اختلافات كثيرة بين لغة كل عصر وعصر آخر « ما دام التفكير الإنساني نفسه في تطور مستمر، ينتقل من البسيط إلى المركب، و يخطو دائماً في درجات النمو والإتساع والتعقيد، فإن اللغة التي هي آتية لا تستطيع كما قلنا أن تقف حيث هي و تبقى مع ذلك

على قيد الحياة، بل يجب أن تتطور هي أيضا، وفي عدة اتجاهات<sup>(21)</sup>، والإختلاف بين اللغات القديمة واللغات الحديثة واضح وجلي في كثير من الجوانب لعل أهمها ما يخص مسائل النحو والصرف و متن اللغة .

### ب- اللغة و تحدي التواصل.

لقد أصبح مفهوم التواصل من المفاهيم المركزية في الفلسفة المعاصرة. فلم يعد التواصل مجرد تبادل وتداول للمعلومات وكيفية تبليغها فقط، بل أصبح التواصل فكرا وفلسفة قائمة بذلتها كما عند هابرماس مؤكدا على أن: «الأفعال التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين المنتمين الى العملية التواصلية غير مرتبطة بحاجيات السياسة، بل مرتبطة بأفعال التفاهم»<sup>(22)</sup> أي أن هابرماس يقول لنا بأن التفاهم إنما يكون باللغة ولا تفاهم بدون لغة. وهذا ما يعرف عنده بالمنعطف اللساني، وهو الأمر الذي دفعه إلى إدخال اللغة في الفعل التواصل من أجل فهمه.

إن اللغة في تكوينها الأساسي تقوم على مبدأ التواصل وهي أساس عملية هذا التواصل البشري، بل أن هذه الأخيرة لم تخلق إلا من أجل تحقيق و تأدية غاية التفاهم والتقارب وتبادل المعارف بين الأمم والحضارات وتساعدتهم في حفظ ماضيهم وفي عملية نقله من جيل إلى جيل انطلاقا من كونها ميزة إنسانية يختلف بها الإنسان عن غيره من باقي الكائنات الأخرى.

واللغة موجودة في كل أشكال التواصل الممكنة «من تواصل إجتماعي من حيث الأسلوب (تواصل لفظي أو كتابي أو إلكتروني) أو تواصل إجتماعي من حيث الجهة المستفيدة (مثل التواصل الأسري والتواصل مع أهل المساجد) سواء كان هذا التواصل داخل المجتمع الواحد أو ما بين المجتمعات المختلفة»<sup>(23)</sup>

ف التواصل ضروري جدا انطلاقا من كونه يرتد مباشرة إلى الفكر البشري، و يغير في طرائقه، باعتبار أن التواصل جزء مهم وكبير من المجال الذي يشيد القيم والمشاعر والأفكار ويعطيها خصوصيتها ويصبغها بصبغته الخاصة، وهذا ما يعيدنا مرة أخرى إلى اللغة التي ترتبط بفكر الإنسان وعقله أكثر مما ترتبط بلسانه وعلاقته بالآخرين.

### 3\_ لينيتز و فكرة اللغة المثالية.

#### أ- عيوب اللغة الطبيعية.

ترتبط اللغة بالفرد والمجتمع وبكل مجالات الحياة البشرية، وانطلاقا من هذه الأهمية كان من الطبيعي أن تأخذ اللغة اهتماما كبيرا ومكانة أكبر داخل التفكير البشري، فرغم حضورها منذ القدم وعبر كل العصور التاريخية إلا أن العصر الحديث يمكن إعتباره نقطة تحول ومنعطف في مكانة اللغة والدراسات اللغوية فبداية من عصر النهضة سيشهد العالم « نشاطات فكرية كبيرة واشتدت العناية باللغة وكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد، منها إحياء اللهجات الاوربية المتنامية واكتشاف لغات جديدة وتقنين القواعد واصلاح أنظمة الكتابة والتهجئة والإهتمام بالأداب بمختلف أشكالها»<sup>(24)</sup>

وهذا يعود إلى ظهور الحركة الإنسانية والقومية والحكومات العلمانية وانفتاح أوروبا على بقية العالم، دون نسيان "الطباعة" التي ميزت عصر النهضة. كما يمكننا الحديث عن الحريات والحقوق التي كان يتمتع بها المفكرون والعلماء في هذا العصر، على العكس ما كان سائدا في القرون الوسطى، هذا ما تجلّى في كل الحركات التحررية من سلطة الكنيسة واللغة اللاتينية... إلخ.

ولعل أهم شيء يمكن أن نشير إليه هو الأفكار والمحاولات التي تدعو إلى خلق لغة علمية وهي اللغة التي يتفاهم من خلالها جميع الناس عوضا عن لغاتهم المحلية. والسبب في ظهور هذه الأفكار هو تلك النقائص والعيوب التي رآها الفلاسفة في استعمالهم للغة الطبيعية، وهذا ما يجعلها لا تقوم بوظائفها على أكمل وجه، بل أصبحت تعيق عملية التواصل بين الأفراد والمجتمعات.

فهذا فرانسيس بيكون ينظر إلى اللغات الطبيعية على أنها تتميز بالنقص والغموض والعيوب التي تجعلها لا تؤدي وظيفتها التواصلية بين الشعوب، «فعدم كفاية اللغات الطبيعية، وما تسببه من خلط وعدم الإصابة في التعبير عن المعارف العلمية على الخصوص»<sup>(25)</sup>. يجب تجاوزه من خلال محاولة ابتكار أو بناء لغة مثالية تحل محل اللغات الطبيعية.

وفي نفس التوجه يذهب جون لوك - ، فإضافة إلى العيوب والغموض والنقائص التي تميز اللغة الطبيعية- يرى أيضا أن استعمالنا للكلمات له تأثير في هذا الغموض والإبهام وذلك من خلال التفريط في طريقة استعمالنا لهذه الكلمات، وبالتالي فلا تؤدي تأثيرها في المتلقي فـ»

يرتكب الناس عدة أخطاء ويقصرون في الطريقة التي يبلغون بها أفكارهم، وهم بذلك يجعلون دلالة العلامات أقل وضوحا وتمايزا مما يجب أن تكون عليه طبيعيا»<sup>(26)</sup>

كما هاجم برتراند راسل اللغة الطبيعية بسبب عدم قدرتها على التعبير الدقيق عن النظريات العلمية، فهي مليئة بالأخطاء والملايسات، هذا ما دعاه - رفقة لدفيج فتجنشتين - إلى البحث عن لغة علمية دقيقة.

وفي فرنسا « اقترح مرسن (Mersenne)، ربما متأثرا بديكارت، ابتداء لغة أفضل من كل اللغات القائمة، يمكن عن طريقها أن يعبر عن أفكار الناس كلها بنفس الكلمات باختصار ووضوح»<sup>(27)</sup>

ومنه يمكننا الحديث عن نبذ للغات الطبيعية عند كثير من الفلاسفة (رينيه ديكارت، جون لوك، فرانسيس بيكون، ليبنتز، برتراند رسل، فتجنشتين، كارناب، فريجة... وغيرهم) انطلاقا من التناقض والغموض والإعتباطية التي تميز اللغات الطبيعية إضافة إلى ظواهر مثل المجاز والمشارك اللفظي والترادف وغيرها.

ب- فكرة اللغة المثالية عند ليبنتز<sup>(28)</sup>

يعتبر الفيلسوف الألماني غوتفريد فلهلم ليبنتز (Gottfried Wilhelm Leibniz) (1646-1716) أحد أهم العلماء والفلاسفة في العصر الحديث، كان يجيد كثيرا من العلوم وبرز أساسا في الفلسفة والرياضيات ومجال اللغة.

ففي مجال اللغة «كان من الأوائل الذين قاموا بتشجيع اللغات العامية على البروز والإنتشار وحث المواطنين على التعامل بها في جميع الميادين الاجتماعية والأدبية والعلمية»<sup>(29)</sup>

كما كانت له أعمال كثيرة في ميدان اللغة، فدرس العديد من اللغات الأوربية والإفريقية والآسيوية من أجل استخراج أهم السمات والصفات المشتركة بينها، مستعملا منهجا يعتمد على التحليل الدقيق لهذه اللغات. كما ألف المعاجم وكتب القواعد النحوية لبعض اللغات. ومن أهم أعماله اللغوية نجد مشروع اللغة المثالية (الكونية)، الذي أراد من خلاله ابتكار لغة مصطنعة رمزية تحل محل اللغة الطبيعية بسبب ما تحتويه هذه الأخيرة من نقائص وعيوب.

«إن الكثافة الرمزية التي تميز اللغات الطبيعية، والغموض والإطباب الذين يكتشفانها، هي بعض الأسباب التي قد تعيق التواصل بين الشعوب. كل ذلك كان دافعا للبحث عن لغة فلسفية تتجاوز تلك العيوب والنقائص وتقضي على تلك العوائق، وهذا يعني أن ما كان يبدو ممكن قوة وكمال في اللغات الطبيعية - التي أعتبر بعضها مقدسا - أصبح بالنسبة للغة الفلسفية نقصا وعبئا»<sup>(30)</sup> ولكن ماذا يعني ليبنتز - وغيره - باللغة المثالية ؟

هنا يمكننا الحديث عن ثلاثة فرضيات لهذه اللغة: فإما أن تعني العودة إلى اللغة الأصلية بإعتبارها لغة عالمية، أي لغة آدم، وإما أنها تعني لغة نحقق من خلال تواصلنا عالميا، وإما أن تعني لغة فلسفية أو لغة علمية أي خاصة بالعلماء في العالم.

و فكرة اللغة الأصل (الأم) هي التي انطلق منها ليبنتز قصد تحقيق مشروعه اللغوي، تلك اللغة التي أختلف حول إمكانية إسترجاعها أو إعادة بناءها كثير من الفلاسفة والمفكرين، وانقسم الرأي في هذا إلى:

فريق ذهب إلى القول أن جميع اللغات الموجودة تعود في أصلها إلى لغة واحدة انطلاقا من وجود عالم واحد وإنسان واحد وبالتالي فلا بد من وجود لغة واحدة وضعها الله في هذا الإنسان. ومع مرور الزمن فقدت هذه اللغة ( لغة آدم).

وفريق آخر قال بأن اللغة تواضع بشري، وبالتالي اختلاف الألسن يعود لإرادة الله. وذهب فريق ثالث إلى القول بوجود تلك اللغة ولكن اندثرت وفقدت وبالتالي لا يمكن إيجادها. وإلى هذا الفريق ينتمي ليبنتز. ومنه فليبنيتز لا يرفض وجود اللغة الأصلية، بل لم يؤمن بإمكانية العثور عليها.

كل هذا جعل عملية البحث عن اللغة المثالية تأخذ اتجاهين: «فأحيانا كان التوجه إلى الماضي من أجل العثور على " لغة آدم " المفقودة، أي لغة الإنسان الأصلية، وأحيانا أخرى كان التوجه إلى المستقبل من أجل بناء لغة مثالية تتميز بكل الكمال الذي تميزت به لغة آدم وفقدته فيما بعد»<sup>(31)</sup>

ولكن ماذا يعني ليبنتز - وغيره - باللغة المثالية ؟

هنا يمكننا الحديث عن ثلاثة فرضيات لهذه اللغة: فإما أن تعني العودة إلى اللغة الأصلية بإعتبارها لغة عالمية، أي لغة آدم، وإما أنها تعني لغة نحقق من خلال تواصلنا عالميا، وإما أن تعني لغة فلسفية أو لغة علمية أي خاصة بالعلماء في العالم.

لقد سعى لينينتز إلى بناء لغة رمزية: «تتجنب كل عيوب اللغة العادية بحيث يكون كل اسم دالا على مسمى معين أو يكون لكل كلمة معنى ومدلول، ونعني في هذه اللغة أيضا بدراسة التركيب الصحيح لمفردا اللغة في جمل سليمة البناء ووضع قواعد هذا التركيب، كما نهتم بدراسة قواعد الإستدلال من صورة من الجمل إلى ما يلزم عنها من صور أخرى ويسمى هذا المشروع للغة أحيانا الحساب المنطقي» <sup>(32)</sup> Calculus

ولعل هذا يعود للأهمية التي يوليها لينينتز للمنطق والرياضيات التي برز فيها كما ذكرنا من قبل. أي أن هذه اللغة المثالية سوف تصبح حسابا لها رموزها ومعادلاتها ودقتها وفقا للنموذج الرياضي. فالنجاح الذي حققته الرياضيات جعل الكثير يعتمد عليها في تفكيره وخاصة في مسألة اللغة المثالية فهناك «شبه إجماع على أن قضايا الرياضيات البحتة وقواعد المنطق ليست إحصائية الصدق وإنما هي صادقة دائما وبقين لا مجال فيها للشك» <sup>(33)</sup>

لقد كان مشروع لينينتز اللغوي كبيرا جدا، رأى البعض إستحالة تحقيقه في الواقع انطلاقا من أهمية اللغة العادية في حياة الإنسان، فهي تمثل حكاية بشرية و جانب إنساني لا يمكن محوه أو إنكاره وهذا ما سنجد ما بعد لينينتز خاصة مع برتراند رسل ولدفيج فثجنشتين، وكان قبلهما لو كد دعا إلى الإستعمال الدقيق للغة الطبيعية مؤكدا أن المشكل في طريقة إستعمال الكلمات.

#### خاتمة :

تؤدي اللغة دورا مهما في الحياة الإنسانية وفي التواصل الاجتماعي لا بد أن نأخذ في الحسبان وسيلة أخرى للتواصل. وانطلاقا من هذه الأهمية كان الإهتمام باللغة كبيرا منذ القدم إلى الدرجة التي ظهرت فكرة بناء أو خلق لغة جديدة تحل محل اللغة العادية اليومية التي يستعملها الإنسان، وكان السبب هم ما تتضمنه اللغة الطبيعية من نقائص وعيوب، ففي الوقت الذي حرص فيه أنصار اللغة المثالية على بناء لغة جديدة لاعتقادهم أن حل المشكلات الفلسفية لا يكون إلا من خلالها حرص أنصار اللغة العادية على تبيان كيف يسيء الفلاسفة استعمال اللغة. ومهما يكن فإن مشاريع محاولة بناء لغة مثالية تبقى محاولات وإضافة متميزة وجديرة بالدراسة والإهتمام في تاريخ الفلسفة خاصة في وقتنا المعاصر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكن إغفال ما للغة الطبيعية من أهمية و دور في حياتنا بمختلف مجالاتها. ورغم النقائص التي تشوب اللغات الطبيعية إلا أنها تبقى قادرة على استيعاب التجربة الإنسانية وهذا ما سنشده في الفلسفة المعاصرة من خلال نظريات لغوية تدعو إلى تصحيح إستعمالنا للغة الطبيعية، فما كان -حسب الكثير من الفلاسفة- نقصا و عيبا في اللغة العادية أصبح عندهم مصدر ثراء وتميز فيها. ورغم أن لينينتز لم ينجح في مشروعه اللغوي هذا، إلا أن مشروعه اللغوي يبقى مساهمة حقيقية في مجال اللغة في العصر الحديث وبداية القرن الثامن عشر، ويبقى ذلك المشروع حاضرا بأثيره في الفلاسفة المعاصرين في القرن العشرين خاصة مع فثجنشتين ورسل وغيرها.

#### الهوامش :

- <sup>1</sup> \_ ساطع الحصري، ماهي القومية ؟، دارالعلم للملايين، بيروت، لبنان، ب(س)، ص 56.
- <sup>2</sup> \_ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، مصر، ط 3، 1965، ص 17.
- <sup>3</sup> \_ سورة ابراهيم، آية 04 .
- <sup>4</sup> \_ سورة النحل، آية 103.
- <sup>5</sup> \_ الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج 1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص 277.
- <sup>6</sup> \_ جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج 1، 1982، ص: 286 . 287
- <sup>7</sup> \_ أبي الفتح عثمان ابن جني، كتاب الخصائص، تح: الشيخ النجار، دار الكتاب المصرية، 1961، ص 61
- <sup>8</sup> \_ محمد صالح بنعمود، الثورة والتكنولوجيا واللغة، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986، ص 7
- <sup>9</sup> \_ فردينان دي سوسور، علم اللغة العام ترجمة: يوليوس سفيرز، مراجعة: مالك يوسف المطلي، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، 1985، ص 2
- <sup>10</sup> \_ نوريجعفر، اللغة والفكر، مكتبة النومي، الرباط 1971 ص 56.
- <sup>11</sup> \_ سورة البقرة، آية 31.

- <sup>12</sup> \_ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005، ص05.
- <sup>13</sup> \_ Bloomfield Leonard, Language, Ed.Psych Library, New york, USA , 1933, p.05.
- <sup>14</sup> \_ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، المرجع السابق، ص.31.
- <sup>15</sup> \_ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، المرجع السابق، ص.56.
- <sup>16</sup> \_ المرجع نفسه، ص.62/61.
- <sup>17</sup> \_ محمد العباس، الإنسان و اللغة: من التواصل إلى الأعلمة، جريدة الرياض، 2011 ( الورقة مقدمة في ملتقى قراءة النص الأدبي بجدة ما بين 31/29 مارس 2011 و منشورة في جريدة الرياض على جزئين الخميس 31 مارس و الخميس 7 أبريل [www.m-alabbas.com](http://www.m-alabbas.com))
- <sup>18</sup> \_ فتحي علي يونس، التواصل اللغوي و التعليم، دار وليد، القاهرة، مصر ، 2009، ص.04 .
- <sup>19</sup> \_ **موت اللغة يعني:** إما أن تموت طبيعيا بعدما يصيبها الكبر والعجز مثل اللغة السنسكريتية والفارسية القديمة... وغيرها. و إما أن تموت مقتولة: بفعل الغزو والاستعمار، والاستعمار قد يؤدي إلى التخلي عن الدين وكل مقومات مجتمع ما. و إما أن تموت عن طريق المزج بين لغة وعدة لغات أو لهجات أخرى حيث تضيع اللغة الأم مع مرور الوقت وبرضاها.
- <sup>20</sup> \_ حسن ظاظا، اللسان والإنسان:مدخل إلى معرفة اللغة، دار القلم للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط(2) ، 1990، ص.102 .
- <sup>21</sup> \_ حسن ظاظا ، المرجع نفسه، ص.107.
- <sup>22</sup> \_ J.Habermas, Theorie de l'agir communicationnel, Trad .JM. Ferry, Paris, 1987, T.1, p.10
- <sup>23</sup> \_ ماجد رجب العبد سكر، التواصل الإجتماعي أنواعه ضوابطه آثاره ومعوقاته - دراسة قرآنية موضوعية - مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، الجامعة الإسلامية ، غزة، 2011، ص 17. 18.
- <sup>24</sup> \_ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، المرجع السابق، ص46
- <sup>25</sup> \_ نقلا عن: مصطفى بلبولة، مشروع اللغة الكونية عند ليبنتز، المرجع السابق، ص14
- <sup>26</sup> \_ مصطفى بلبولة، المرجع نفسه، ص.23.
- <sup>27</sup> \_ ر.ه.روينز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص170.
- <sup>28</sup> \_ ولد غوتفريد فلهلم ليبنتز Gottfrid Wilhelm Leibniz عام 1646 بمدينة ليبزغ الألمانية لعائلة معظمها من المحامين. درس هو أيضا القانون وتحصل على الدكتوراه برسالة سماها "مشكلات القانون"، بل وكانت له اسهامات عديدة في مجال القانون. نشأ ليبنتز في بيت يمتاز بالثقافة الواسعة والرفيعة وكان يتقن اللغة اليونانية واللاتينية إضافة إلى لغته الألمانية، ما أكسبه معارفة كثيرة.التحق بجامعة ليبزغ في الـ14 من عمره فدرس القانون والفلسفة.تحصل على الدكتوراه من جامعة التدورف altdor . عرضت عليه درجة الأستاذية فرفضها، وعرضت عليه عديد المناصب ولكنه رفضها أيضا انطلاقا من حبه وتفضيله للأسفار والمهام الدبلوماسية التي تجعله أكثر حرية من المناصب الحكومية. إنتهى ليبنتز بكثير من الفلاسفة أمثال: أرنو و "مالبرانش" و "هويجنز" و "روبرت بويل". استقر ليبنتز في هانوفر لمدة 40 سنة عمل خلالها مديرا لمكتبة هانوفر.وفي 14 نوفمبر 1716 مات بعد مرضه بالطاعون، تاركا وراءه تراثا فكريا كبيرا ومؤلفات في مجالات عديدة.
- <sup>29</sup> \_ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، المرجع السابق، ص57.
- <sup>30</sup> \_ مصطفى بلبولة، مشروع اللغة الكونية عند ليبنتز، المرجع السابق، ص15
- <sup>31</sup> \_ مصطفى بلبولة، مشروع اللغة الكونية عند ليبنتز، المرجع السابق، ص15
- <sup>32</sup> \_ مصطفى بلبولة، المرجع نفسه، ص73.
- <sup>33</sup> \_ محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985، ص30..